

قصة قصيرة



ذلك حقيقي وأكيد

أنس جنان

اهداء:



اهدني هاته القصة لمحبوبة قلبي "حنان".

سأظل مخلصا وفيالك. و لن يفرق بيننا شيء الا ما شاء الله.

عدلت و ضع كمامتي على وجهي و انا اجوب بنظري في الشوارع شبه الفارغة. صمت امتزج بهدير طرربوطور و الادي فلم يعد له معنى. طيور حائرة في سماء الصباحت ذاهبة آيبة. يراها المطمئن فيحير. تملكنتي فرحة و انا افكر في ما قد افعله في البادية وفضائها الرحب. ضجرت بالغ الضجر من المكوث في البيت جراء اجراءات الحجر الصحي التي فرضت آنذاك اتقاء انتقال الفيروس بين الساكنة. فكرت "الضجر اكبر فيروس". تداركت ما فكرت فيه فأحسسته خطأ. قطعته مستسلما "اللهم ضجر شهر في البيت او ضجر ابدي في القبر و ما بعده". و سرعان ما شكرت في خاطري هذه الاجراءات و لولاه لحصدي الفيروس و سكان المغرب باسرههم. اعرضت عن كل هذا وانا اتتبع الطريق مع و الادي بنوع من التفقد. لا شك انني سأتفقد و قد كنت مسجوننا في البيت شهورا. و اليوم اطلق سراحي. أنا حر الآن. المحلات مغلقة و السيارات التي تمر قليلة. القطط و الكلاب غزوا الطرقات و الارصفة. يجوبون. يبحثون عن ما يسد رمقهم في الازبال المنطرة حول القمامات. قامت مطاردة خفيفة بسبب ان احدا منهم وجد ما يوكل فتبعوه يريدون نهبه. حزنت لحالهم كعادتي. ثم ادركت ان الواجب ان افرح. على الاقل لن يتعرضوا للرفس و الركل من بعض ابناء آدم. صعاليكهم. نساؤهم. رجالهم. شبانهم و عجزتهم. الذين مازال التخلف يسيطر على عقولهم و

الله وحده يعلم. الحوانيت جلها موصده. في هذا الصباح و في زمن كورونا. و ما اوصد صار مأوى للمتشردين و المخبولين. من اشهرهم <الميطير>. شخصية مشهورة عند اهل سطات. احذب يسحى. كلما مر بالناس مر معنعنا. يثني اصابع يديه مشكلا قبضتين و يثبتهما في الهواء على شكل الماسك بمقبض الدراجة. و يأخذ في الجري. يعتقد انه يركب دراجة نارية. اذا رأى في شخص حاجته يقصده. عندما يوشك ان يقترب منه يخفف السرعة و يحدث بفمه كلاكسونا <طيببييط..> ثم يطلب حاجته بصوته المخنوق:

_ عطينا باش نعمر و ليسانس الله يرحم الوالدين (اعطنا صدقة بها نملاً خزان الوقود خاصتنا).

من الناس من يعطيه. و منهم من يقول:

_ الله يجيب.

و منهم من يخافه لشكله المقوس. ملابسه البالية. طيات جبينه البارزة و التي لا تكاد تعد او تحصى و نظرتة المبتزة. فيقول رافعا كفه باحترام ووجل:

_ الله يسهل.

و هو يرتعد من الميطير. كان الميطير شبح. و ما هو الا طفل كبير يريد ان ياكل و يشرب و يلعب و يدخن.

دخل الوالد عند البقال ليخرج بكيس بلاستيكي شفاف حوى خمس خبزات و ثلاث قطع من الفروماج. حزمه و اعطاه لي:

_ اياك ان تعفس على الفروماج. دع البلاستيكة بعيدة منك.

_ صافي(نعم).

ازحت البلاستيكة الى ركن الموطور. رجع هو للبقال ثانية ثم خرج و في يده علبة سجائر من نوع ماركيز. رجع للطربورطور. ناداه البقال بصوت اجش:

_ سي مصطفى.

_ وا نعم(نعم؟).

_ الله يرحم الوالدين اذا كنت مارا من هنا في المساء احضر لي ثلاث حزمات من الخرشوف. الله يعفو عليك.

_ الخرشوف يا اخي مازال فتيا. لم يطلع بعد(لم يكبر كفاية).

_ ليس مشكلا مرة اخرى ان شاء الله لما يجهز حضر لي.

_ ان شاء الله.

مر طاكسيا بقربنا فارغ. فكرت فيما قالت الوالدة:

_ اصحاب الطاكسيات ضربهم السيزي(القحط المادي).. كانوا

يتعجرفون على كل من يريد ان يركب. مزيانة ليهم(عدل

فيهم). مزيانة لابوهم(عبارة تقال عند التعبير) كانوا ينقلون الناس

حيث ارادوا هم لا حيث اراد الراكب ان يصل. اصبحوا الآن يتشمسون فقط(بدون عمل).

صدقت الوالدة... شغل الوالد الطريبورطور فانقطع الصمت ثانية. و قبل ان يتقدم. اقبل علينا رجل منفوش الشعر. يجري و يلوح بيديه. يبدو انه بوهالي من البوهاليين الذين يبيتون في الشوارع و تحت اسقف الحوانيت. اسكت الوالد الطريبورطور لما رآه. جاءنا فصافحنا مبتسما صامتا لم ينبس بكلمة سوى تحريكة طفيفة لفمه اظهرت اسنانا علاها الخز. عنقه مجروح. الدم اسود ببس حول جرحه. ادركت فيما بعد انه زيزون(ابكم). تقابل مع الوالد. ادرت وجهي ناحيتهما. انشأ يصنع بيديه اشارات و يئن أنات لم افهم معناها. الوالد يرد عليه بالإشارات ايضا. اعلم انه يفهم لغة الاشارات هو كذلك. لم يتعد حديثهما المبهم دقيقتين و انا اترقبه باستفهام و فضول . تصافحا. صافحني البوهالي و انصرف من حيث اقبل بخطوات افتقدت التوازن.

_ زيزون؟(قلت مستفهما)

_ يريد الخرشوف. ليس عنده حظ. الخرشوف لا زال فتيا. هاه مدة لم اره. ههه عالام.

_ حسبته يريد قطا من البادية او ما شابه.

_ قط؟؟. ماذا سيفعل به؟ هو يريد ان يأكل فقط. قط؟.. هل سيأكله؟(بسخرية).

زاد استغرابي و انا افكر و أتساءل:

_ هل هذا البوهالي ايضا له بيت؟ هل هو ايضا يطبخ الخرشوف؟
هل يطبخه في الشارع مثلا؟ هل يأكله نيئا؟...

شغل والدي الطرييور طور.. سرنا في الفراغ. فراغ انبرى له
بعض الطاكسيات الفارغة و السيارات و الدراجات النارية
المزمجرة. صرنا ندنوا شيئا فشيئا من البادية حتى لاحت من بعيد
بمعالمها العتيقة. تهلل وجهي فرحا كفرح تلك المعالم التي غشتها
اشعة شمس الصباح. كدت ادعو على الطرييور طور بالبكم حتى
يوقف نهيقه الذي يحول دون سماعي سمفونيات الطيور. اخرجت
رواية بيوت واطئة من كيس جلبته معي و شرعت اتفقد الصفحة
الاولى منها. فقرات في السطر الاول:

_ الشمس ذات وهج في السماء. ذلك شيء حقيقي و أكيد.

اغلقت الرواية.. قلت في نفسي:

_ حقا! اذلك حقيقي و أكيد.

تمت.